سلسلة

نجوم الصحابة

٢

الشُهَدَاءُ

أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيّ ❖ أَنَسُ بنُ النَّضْرِ

أبُو دُجَانَةَ ❖ البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ



بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة نجوم الصحابة (١٤)

الشُّهَدَاءُ

(٢)

إعداد

مسعود صبري إبراهيم

الطبعة الثانية
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم التسلسل
(٦٢)





دمشق : حلبوني - ص ب: ٢٥٢٣٧ - فاكس: ٢٤٥١٠١٣
هاتف: ٢٤٥٣٦٣٨ (٩٦٣١١ +) - جوال: ٠٩٤٤ ٤٥٣٦٣٨
البريد الالكتروني: algawthani@scs-net.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبُو أيُّوبَ الأنْصَارِيُّ

إِنَّهُ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ خَالِدُ بنُ زَيدٍ ﵁، حَفِيدُ مَالِكِ ابنِ النَّجَّارِ، وَأُمُّهُ هِنْدُ بِنْتُ سَعِيدٍ، آخَى الرَّسُولُ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ، شَهِدَ بَيْعَةَ العَقَبَةِ الثَّانِيَةَ.

مَعَ الرَّسُولِ ﷺ:

وَعِنْدَمَا وَصَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَرْضِ النُّصْرَةِ وَالإِيمَانِ مُخْتَتِمًا رِحْلَتَه الطَّوِيلَةَ الَّتِي هَاجَرَ فِيهَا مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ، وَصَارَ وَسْطَ جُمُوعِ المُسْلِمِينَ الَّتِي خَرَجَتْ لِاسْتِقْبَالِهِ، وَتَزَاحَمَ النَّاسُ حَوْلَ زِمَامِ نَاقَتِهِ، كُلٌّ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَضِيفَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لَهُمْ: «خَلُّوا سَبِيلَهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» [البيهقي].

وَيَمْضِي مَوكِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَصِلُ إِلَى حَيٍّ بَنِي

سَاعِدَةَ، فَحَيِّ بَنِي الحَارِثِ، فَحَيِّ بَنِي عَدِيٍّ، وَيَخْرُجُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ مَنْ يَعْتَرِضُ طَرِيقَ النَّاقَةِ آمِلًا أَنْ يُسْعَدُوا بِنُزُولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي دِيَارِهِمْ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يُجِيبُهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «خَلُّوا سَبِيلَهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» [البَيهَقِيّ].

وَأَمَامَ دِيَارِ مَالِكِ بنِ النَّجَّارِ بَرَكَتِ النَّاقَةُ، ثُمَّ نَهَضَتْ وَطَوَّفَتْ بِالمَكَانِ، ثُمَّ عَادَتْ إِلَى مَكَانِهَا الأَوَّلِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَفَائِلًا، وَتَقَدَّمَ أَحَدُ المُسْلِمِينَ، وَقَدْ عَمَرَتِ الفَرْحَةُ قَلْبَهُ، فَحَمَلَ مَتَاعَ الرَّسُولِ ﷺ وَأَدْخَلَهُ بَيتَهُ، ثُمَّ دَعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ لِلْدُّخُولِ.

فِي بَيتِ أَبِي أَيُّوب:

وَكَانَ بَيْتُ أَبِي أَيُّوبَ طَابِقَيْنِ، فَاخْتَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الطَّابِقَ الأَسْفَلَ لِيَكُونَ مَحَلَّ إِقَامَتِهِ، وَصَعِدَ أَبُو أَيُّوبَ إِلَى الدَّوْرِ العُلْوِيِّ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنَمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَستَطِعْ أَنْ يَتَخَيَّلَ نَفْسَهُ وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَكَانٍ أَعْلَى مِنَ المَكَانِ الَّذِي يَنَامُ فِيهِ الرَّسُولُ ﷺ. وَفِي اللَّيلِ سَالَ المَاءُ فِي غُرْفَتِهِ، فَقَامَ هُوَ

وَزَوْجَتُهُ أُمُّ أَيُّوبَ يُنَظِّفَانِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَصِلَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهُ شَيءٌ.

وَفِي الصَّبَاحِ، ذَهَبَ أَبُو أَيُّوبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَلَحَّ عَلَيهِ وَرَجَاهُ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى الطَّابَقِ العُلْوِيِّ، فَاسْتَجَابَ النَّبِيُّ ﷺ لِرَجَائِهِ، وَظَلَّ الرَّسُولُ ﷺ فِي بَيْتِ أَبِي أَيُّوبَ حَتَّى انْتَهَى مِنْ بِنَاءِ المَسْجِدِ، وَبِنَاءِ حُجْرَةٍ لَهُ بِجِوَارِهِ.

مُحِبٌّ الجِهَادِ:

وَكَانَ رضي الله عنه مُحِبًّا لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَمُنْذُ أَنْ حَضَرَ بَيْعَةَ العَقَبَةِ الثَّانِيَةَ حَتَّى مُنْتَصَفِ القَرْنِ الأَوَّلِ الهِجْرِيِّ وَهُوَ يَعِيشُ فِي جِهَادٍ مُتَوَاصِلٍ، لَا يَغِيبُ عَنْ حَرْبٍ، وَلَا يَتَكَاسَلُ عَنْ غَزْوٍ، وَشَهِدَ مَع رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْرًا وَأُحُدًا وَالخَنْدَقَ، وَالغَزَوَاتِ كُلَّهَا، وَحَتَّى بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزْوَةٍ كُتِبَ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَخُوضُوهَا إِلَّا غَزْوَةً قَدْ أُمِّرَ فِيهَا عَلَى الجَيشِ شَابٌّ لَمْ يَقْنَعْ أَبُو أَيُّوبَ بِإِمَارَتِهِ، فَقَعَدَ وَلَمْ يَخْرُجْ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ مَا لَبِثَ أَنْ نَدِمَ عَلَى مَوقِفِهِ هَذَا وَقَالَ:

مَا خَبَرَنِي مَن استُعْمِلَ عَلَيَّ؟ ثُمَّ خَرَجَ فَلَحِقَ بِالجَيشِ.

وَرَغْمَ أَنَّ عُمُرَهُ تَجَاوَزَ الثَّمَانِينَ عَامًا فإِنَّهُ مَا كَادَ يَسْمَعُ مُنَادِيَ الجِهَادِ يَحُثُّ المُسْلِمِينَ عَلَى الخُرُوجِ لِفَتْحِ القَسْطَنْطِينِيَّةِ (إِسْتَامْبُول الآنَ) حَتَّى حَمَلَ سَيْفَهُ عَلَى عَاتِقِهِ قَائِلًا: أَمَرَنَا اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَنْ نَنْفِرَ فِي سَبِيلِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التَّوبَة: ٤١].

وَفِي هَذِهِ المَعْرَكَةِ أُصِيبَ أَبُو أَيُّوبَ، فَذَهَبَ قَائِدُ الجَيْشِ يَزِيدُ بنُ مُعَاوِيَةَ يَعُودُهُ، وَقَالَ لَهُ: مَا حَاجَتُكَ أَبَا أَيُّوبَ؟ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَاحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ العَدُوِّ ثُمَّ ادْفِنُونِي. ثُمَّ قَالَ لَهُم: أَمَا إِنِّي أُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ» [مُتَّفَقٌ عَلَيهِ].

وَبِالفِعْلِ كَانَ لَهُ مَا أَرَادَ، فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ قَالَتِ الرُّومُ لِلمُسْلِمِينَ: لَقَدْ كَانَ لَكُم اللَّيْلَ شَأْنٌ عَظِيمٌ. فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَكَابِرِ أَصْحَابِ نَبِيِّنَا ﷺ وَأَقْدَمِهِمْ إِسْلَامًا، قَد دَفَنَّاهُ حَيْثُ رَأَيْتُمْ، وَاللهِ لَئِنْ نُبِشَ قَبْرُهُ لَا يُضْرَبُ لَكُمْ نَاقُوسٌ أَبَدًا

(شَعَائِرُ عِبَادَتِهِمْ) فِي أَرْضِ العَرَبِ مَا كَانَتْ لَنَا دَوْلَةٌ، فَكَانَ الرُّومُ يَتَعَاهَدُونَ قَبْرَهُ، وَيَزُورُونَهُ.

وَكَانَ ﷺ زَاهِدًا وَرِعًا لَا يُحِبُّ البَذَخَ أَوِ التَّرَفَ، وَاحِدًا مِنْ رُهْبَانِ اللَّيلِ وَفُرْسَانِ النَّهَارِ، عَشِقَ الجِهَادَ، وَتَمَنَّى الشَّهَادَةَ.

وَظَلَّ هَكَذَا حَتَّى لَقِيَ رَبَّهُ بَعْدَ حَيَاةٍ طَوِيلَةٍ شَاقَّةٍ قَضَاهَا جُنْدِيًّا مِنْ جُنُودِ اللهِ.

** ** **

أَبُو دُجَانَةَ الأنْصَارِيُّ

اسْمُهُ سِمَاكُ بنُ أَوْسِ بنِ خَرَشَةَ ، أَسْلَمَ وَآمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ ، وَقَدْ آخَى الرَّسُولُ ﷺ بَينَهُ وَبَينَ عُتْبَةَ بنِ غَزْوَانَ ، وَكَانَ شَدِيدَ الحُبِّ للهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ ، كَثِيرَ العِبَادَةِ ، اشْتَرَكَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَحَضَرَ المَعَارِكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَأَبْلَى فِيهَا بَلَاءً حَسَنًا .

صَاحِبُ العِصَابَةِ الحَمْرَاءِ:

وَقَفَ يَومَ أُحُدٍ إِلَى جَانِبِ فُرْسَانِ المُسْلِمِينَ ، يَستَمِعُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيهِمْ سَيْفَهُ ، قَائِلًا : «مَنْ يَأخُذُ مِنِّي هَذَا ؟» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُم يَقُولُ: أَنَا .. أَنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ» ، فَأَحْجَمَ القَوْمُ ، فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ ، فَأَخَذَهُ أَبُو دُجَانَةَ ، فَفَلَقَ بِهِ هَامَ المُشْرِكِينَ (أَي شَقَّ رُؤُوسَهُم) [مُسْلِم] .

وَأَخَذَ أَبُو دُجَانَةَ عِصَابَتَهُ الحَمْرَاءَ وَتَعَصَّبَ بِهَا ، فَقَالَ الأَنْصَارُ مِنْ قَومِهِ: أَخْرَجَ أَبُو دُجَانَةَ عِصَابَةَ المَوْتِ ، ثُمَّ نَزَلَ سَاحَةَ المَعْرَكَةِ .

وَأَخَذَ يَقْتُلُ المُشْرِكِينَ، وَيَفْلِقُ رُؤُوسَهُمْ بِسَيفِ الرَّسُولِ ﷺ حَتَّى بَدَأَ النَّصْرُ يَلُوحُ لِلمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا تَرَكَ الرُّمَاةُ أَمَاكِنَهُمْ، وَانْشَغَلُوا بِجَمْعِ الغَنَائِمِ، عَاوَدَ المُشْرِكُونَ هُجُومَهُمْ، فَفَرَّ كَثِيرٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَثَبَتَ بَعْضُهُمْ يُقَاتِلُ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ مِنْهُم أَبُو دُجَانَةَ.

شَهِيدُ اليَمَامَةِ:

وَمَاتَ الرَّسُولُ ﷺ وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُ، فَوَاصَلَ جِهَادَهُ مَع خَلِيفَتِهِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَشَارَكَ فِي حُرُوبِ الرِّدَّةِ، وَكَانَ فِي مُقَدِّمَةِ جَيْشِ المُسْلِمِينَ الذَّاهِبِ إِلَى اليَمَامَةِ لِمُحَارَبَةِ مُدَّعِي النُّبُوَّةِ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ وَقَومِهِ بَنِي حَنِيفَةَ، وَقَاتَلَ قِتَالَ الأُسْدِ حَتَّى انْكَشَفَ المُرْتَدُّونَ، وَفَرُّوا إِلَى حَدِيقَةِ مُسَيْلِمَةَ، واخْتَفَوْا خَلْفَ أَسْوَارِها وَحُصُونِهَا المَنِيعَةِ، فَأَلْقَى المُسْلِمُونَ بِأَنْفُسِهِمْ دَاخِلَ الحَدِيقَةِ وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ أَبُو دُجَانَةَ، فَفَتَحَ الحِصْنَ، وَحَمِيَ القِتَالُ، فَكُسِرَتْ قَدَمُهُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَهْتَمَّ، وَوَاصَلَ جِهَادَهُ حَتَّى امْتَلأَ جَسَدُهُ بِالجِرَاحِ، فَسَقَطَ شَهِيدًا عَلَى أَرْضِ المَعْرَكَةِ، وَفَرِحَ المُسْلِمُونَ بِنَصْرِ اللهِ.

أَنَسُ بنُ النَّضر

إِنَّهُ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ أَنَسُ بنُ النَّضْرِ ﷺ، عَمُّ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَلَى اسْمِهِ يُسَمَّى، وَيُنسَبُ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ فِي المَدِينَةِ.

المُعَاهِدُ:

وَقَدْ أَحبَّ أَنَسٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَظَلَّ مُدَافِعًا عَنْهُ حَتَّى آخِرِ قَطْرَةِ دَمٍ فِي جَسَدِهِ، وَلَم يَعْلَمْ بِخُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ لِقِتَالِ المُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَحَزِنَ حُزْنًا شَدِيدًا، وَنَذَرَ نَفْسَهُ لِلشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ لِيُعَوِّضَ مَا فَاتَهُ مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ.

وَذَهَبَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ نَادِمًا أَنْ فَاتَتْهُ غَزْوَةُ بَدْرٍ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، غِبْتُ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللهُ قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، خَرَجَ أَنَسُ بنُ النَّضْرِ مَعَ المُسْلِمِينَ، وَهُوَ يَتَمَنَّى أَنْ يَلْقَى اللهَ

شَهِيدًا فِي هَذِهِ الغَزْوَةِ، وَبَدَأَتِ المَعْرَكَةُ، وَكَانَ النَّصْرُ حَلِيفَ المُسْلِمِينَ إِلَى أَنْ خَالَفَ الرُّمَاةُ أَمْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَحَوَّلَ النَّصْرُ إِلَى هَزِيمَةٍ، وَفَرَّ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَثْبُتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِوَى قَلِيلٍ، فَلَمَّا رَأَى أَنَسُ بنُ النَّضْرِ رضي الله عنه ذَلِكَ المَشْهَدَ تَذَكَّرَ عَلَى الفَوْرِ وَعْدَهُ للهِ تَعَالَى، وَقَولَهُ لِلرَّسُولِ ﷺ: لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللهُ قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ.

فَانْطَلَقَ يَشُقُّ صُفُوفَ المُشْرِكِينَ قَائِلًا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ (يَعْنِي أَصْحَابَهُ) وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ (يَعنِي المُشْرِكِينَ)، ثُمَّ تَقَدَّمَ شَاهِرًا سَيْفَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: يَا سَعْدُ بنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةُ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ. وَقَاتَلَ بِسَيفِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا، حَتَّى سَقَطَ شَهِيدًا عَلَى أَرْضِ المَعْرَكَةِ.

وَبَعدَ انْتِهَاءِ القِتَالِ حَكَى سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا صَنَعَهُ أَنَسُ بنُ النَّضْرِ، وَقَالَ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا صَنَعَ.

شَهِيدُ أُحُدٍ:

قَامَ الرَّسُولُ ﷺ وَأَصْحَابُهُ لِيَتَفَقَّدُوا شُهَدَاءَ أُحُدٍ، وَيَتَعَرَّفُوهُمْ، فَوَجَدُوا أَنَسَ بنَ النَّضْرِ وَبِهِ بِضْعَةٌ وَثَمَانُونَ جُرْحًا، مَا بَيْنَ ضَرْبَةٍ بِسَيفٍ وَطَعْنَةٍ بِرُمْحٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ، وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ فَلَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ «الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ» بِعَلَامَةٍ فِي أَصَابِعِهِ [البُخَارِيّ]. وَرُوِيَ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ الكَرِيمَةَ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأَحْزَاب: ٢٣]، نَزَلَتْ فِي أَنَسِ بنِ النَّضْرِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيهِمْ.

** ** **

البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ بنِ النَّضْر

أَخُو أَنَسِ بنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَحَدُ الأَبْطَالِ الأَقْوِيَاءِ، بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَشَهِدَ أُحُدًا وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الغَزَوَاتِ مَع رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَاشَ حَيَاتَهُ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللهِ.

ابْنُ الجِهَادِ:

كَانَتْ كُلُّ أَمَانِيهِ أَنْ يَمُوتَ شَهِيدًا، وَقَتَلَ بِمُفْرَدِهِ مِئَةَ رَجُلٍ فِي المَعَارِكِ الَّتِي شَارَكَ فِيهَا، فَقَد دَخَلَ عَلَيْهِ أَخُوهُ أَنسٌ مَرَّةً وَهُوَ يَتَغَنَّى بِالشِّعْرِ، فَقَدْ مَنَحَهُ اللهُ صَوْتًا جَمِيلًا، فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي، تَتَغَنَّى بِالشِّعْرِ، وَقَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَا هُوَ خَيرٌ مِنهُ القُرآنَ؟ فَقَالَ لَهُ: أَتخَافُ عَلَيَّ أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي، لَا وَاللهِ، مَا كَانَ اللهُ لِيَحْرِمَنِيَ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِهِ، وَقَدْ قَتَلْتُ مِئَةً بِمُفْرَدِي سِوَى مَنْ شَارَكْتُ فِي قَتْلِهِ.

يَومَ اليَمَامَةِ:

وَشَارَكَ فِي حُرُوبِ الرِّدَّةِ، وَأَظْهَرَ فِيهَا بُطُولَةً فَائِقَةً، فَفِي يَومِ اليَمَامَةِ يَقِفُ مُنْتَظِرًا أَنْ يُصْدِرَ القَائِدُ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ

أَمْرَهُ بِالزَّحْفِ لِمُلَاقَاةِ المُرْتَدِّينَ، وَنَادَى خَالِدٌ: اللهُ أَكْبَرُ. فَانْطَلَقَتْ جُيُوشُ المُسْلِمِينَ مُكَبِّرَةً، وَانْطَلَقَ مَعَهَا عَاشِقُ المَوْتِ البَراءُ بنُ مَالِكٍ.

فَاتِحُ الحَدِيقَةِ:

وَرَاحَ يُقَاتِلُ أَتْبَاعَ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ بِسَيْفِهِ، وَهُمْ يَتَسَاقَطُونَ أَمَامَهُ قَتْلَى؛ الوَاحِدُ تِلْوَ الآخَرِ، وَلَم يَكُنْ جَيشُ مُسَيْلِمَةَ ضَعِيفًا، وَلَا قَلِيلًا، بَلْ كَانَ أَخْطَرَ جُيُوشِ الرِّدَّةِ، وَقَدْ تَصَدَّوْا لِهُجُومِ المُسْلِمِينَ حَتَّى كَادُوا يَأْخُذُونَ زِمَامَ المَعْرَكَةِ، وَتَحَوَّلَتْ مُقَاوَمَتُهُمْ إِلَى هُجُومٍ، فَبَدَأَ الخَوفُ يَتَسَرَّبُ إِلَى صُفُوفِ المُسْلِمِينَ، فَأَسْرَعَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ إِلَى البَرَاءِ بنِ مَالِكٍ قَائِلًا لَهُ: تَكَلَّمْ يَا بَرَاءُ.

فَقَامَ البَرَاءُ، وَصَاحَ فِي المُسْلِمِينَ مُشَجِّعًا، وَمُحَفِّزًا لَهُمْ عَلَى القِتَالِ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ المَدِينَةِ، لَا مَدِينَةَ لَكُمُ اليَوْمَ، إِنَّمَا هُوَ اللهُ وَحْدَهُ وَالجَنَّةُ. وَرَكِبَ فَرَسَهُ وَانْدَفَعَ نَحْوَ الأَعْدَاءِ، وَمَعَهُ المُسْلِمُونَ يُقَاتِلُونَ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى رَجَحَتْ كِفَّةُ المُسْلِمِينَ،

وَانْدَفَعَ المُرْتَدُّونَ إِلَى الوَرَاءِ هَارِبِينَ، وَاحْتَمَوْا بِحَدِيقَةٍ لِمُسَيْلِمَةَ ذَاتِ أَسْوَارٍ عَالِيَةٍ.

وَوَقَفَ المُسْلِمُونَ أَمَامَ الحَدِيقَةِ يُفَكِّرُونَ فِي حِيلَةٍ يَقْتَحِمُونَ بِهَا أَسْوَارَهَا، فَإِذَا بِالبَرَاءِ بنِ مَالِكٍ، يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، أَلْقُونِي إِلَيهِمْ. فَاحْتَمَلَهُ المُسْلِمُونَ وَأَلْقَوْهُ فِي الحَدِيقَةِ، فَقَاتَلَهُم حَتَّى فَتَحَهَا عَلَى المُسْلِمِينَ، وَدَخَلَ المُسْلِمُونَ الحَدِيقَةَ، وَأَخَذُوا يَقْتُلُونَ أَصْحَابَ مُسَيْلِمَةَ، وَانْتَصَرَ المُسْلِمُونَ.

مَرِيضُ القِتَالِ:

وَرَجَعَ البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ وَبِهِ بِضْعَةٌ وَثَمَانُونَ جُرْحًا مَا بَينَ ضَرْبَةٍ بِسَيفٍ أَو رَمْيَةٍ بِسَهْمٍ، وَحُمِلَ إِلَى خَيْمَتِهِ لِيُدَاوَى، وَقَامَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ عَلَى عِلَاجِهِ شَهْرًا كَامِلًا.

مُحَطِّمُ الكَلَالِيبِ:

وَعِنْدَمَا شُفِيَ البَرَاءُ مِنْ جِرَاحَاتِ يَومِ اليَمَامَةِ، انْطَلَقَ مَع جُيُوشِ المُسْلِمِينَ الَّتِي ذَهَبَتْ لِقِتَالِ الفُرْسِ، وَفِي إِحْدَى حُرُوبِ المُسْلِمِينَ مَعَ الفُرْسِ لَجَأَ الفُرْسُ إِلَى وَسِيلَةٍ وَحْشِيَّةٍ

حَيثُ اسْتَخْدَمُوا كَلَالِيبَ مِنْ حَدِيدٍ مُعَلَّقَةً فِي أَطْرَافِ سَلَاسِلَ مُلْتَهِبَةٍ مُحْمَاةٍ بِالنَّارِ، يُلْقُونَهَا مِنْ حُصُونِهِمْ، فَتَرْفَعُ مَنْ تَنَالَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَسَقَطَتْ إِحْدَى هَذِهِ الكَلَالِيبِ عَلَى أَنَسِ بنِ مَالِكٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنَسٌ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ، فَرَآهُ البَرَاءُ، فَأَسْرَعَ نَحْوَهُ، وَقَبَضَ عَلَى السِّلْسِلَةِ بِيَدَيْهِ، وَأَخَذَ يَجُرُّهَا إِلَى أَسْفَلَ حَتَّى قُطِعَتْ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى يَدِهِ فَإِذَا عِظَامُهَا قَدْ ظَهَرَتْ وَذَابَ اللَّحْمُ مِنْ عَلَيهَا، وَأَنْجَى اللهُ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ بِذَلِكَ.

شَهِيدُ تُسْتَرَ:

وَظَلَّ البَرَاءُ ﷺ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَعْرَكَةً بَعْدَ أُخْرَى مُتَمَنِّيًا أَنْ يُحَقِّقَ اللهُ لَهُ غَايَتَهُ، وَهَا هِيَ ذِي مَوقِعَةُ تُسْتَرَ تَأْتِي لِيُلَاقِيَ المُسْلِمُونَ فِيهَا جُيُوشَ الفُرْسِ، وَتَتَحَقَّقَ فِيهَا أُمْنِيَّةُ البَرَاءِ.

لَقَد تَجَمَّعَ الفُرْسُ وَاحْتَشَدُوا فِي جَيشٍ كَثِيفٍ، وَجَاؤُوا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ لِلِقَاءِ المُسْلِمِينَ، وَكَتَبَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إِلَى أَمِيرَيهِ عَلَى الكُوفَةِ وَالبَصْرَةِ أَنْ يُرْسِلَ كُلٌّ مِنْهُمَا جَيشًا إِلَى الأَهْوَازِ، وَالتَقَى الجَيشَانِ القَادِمَانِ مِنَ الكُوفَةِ

وَالبَصْرَةِ بِجَيشِ الفُرْسِ فِي مَعْرَكَةٍ رَهِيبَةٍ، وَكَانَ البَرَاءُ أَحَدَ جُنُودِ المُسْلِمِينَ فِي تِلْكَ المَعْرَكَةِ، وَبَدَأَتِ المَعْرَكَةُ بِالمُبَارَزَةِ كَالعَادَةِ، فَخَرَجَ البَرَاءُ لِلمُبَارَزَةِ، وَالتحَمَ الجَيشَانِ، وَكَادَ المُسْلِمُونَ أَنْ يَنْهَزِمُوا، فَقَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ لِلبَرَاءِ: يَا بَرَاءُ، أَتَذْكُرُ يَومَ أَنْ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْكَ: «كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ (ثَوبَيْنِ قَدِيمَيْنِ)، لَا يُؤْبَهُ لَهُ (لَا يَهْتَمُّ بِهِ أَحَدٌ) لَو أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، مِنْهُمُ البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ»؟ [التِّرمِذِيّ].

ثُمَّ طَلَبَ الصَّحَابَةُ مِنْهُ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ لَهُمْ، فَرَفَعَ البَرَاءُ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ دَاعِيًا: اللَّهُمَّ امْنَحْنَا أَكْتَافَهُمْ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ، وانْصُرْنَا عَلَيهِمْ، اللَّهُمَّ أَلْحِقْنِي بِنَبِيِّكَ. ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ، وَهَجَمَ عَلَى الفُرْسِ، وفتَحَ اللهُ عَلَى المُسْلِمِينَ وَانْتَصَرُوا عَلَى الفُرْسِ.

وَاسْتُشْهِدَ البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ فِي هَذِهِ المَعْرَكَةِ بَعْدَ رِحْلَةِ جِهَادٍ طَوِيلَةٍ، قَدَّمَ فِيهَا البَرَاءُ كُلَّ مَا يَمْلِكُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه سَنَةَ (٢٠هـ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

** ** **

سلسلة نجوم الصحابة

١ - الخُلَفَاءُ الرَاشِدون
٢ - أَهلُ الجنةِ
٣ - القُرَّاءُ
٤ - الأُمَرَاءُ
٥ - العُلَمَاءُ
٦ - الأوائِلُ
٧ - الشُّهَدَاءُ

٨١٠٠٥٩